TOAEP | Torkel Opsahl Academic EPublisher

POLICY BRIEF SERIES

ما السبيل إلى عالم أفضل:
الإنسان بين مكامن قوته ومواطن ضعفه

فيليب ألوت

المنشور رقم 75 (2016) من سلسلة منتدى القانون الجنائي والإنساني الدولي FICHL

الحالة البشرية

1. نحن نعيش في عالمين: يصنعنا عالم الطبيعة، في حين نتولى نحن صناعة عالم الإنسان. ولئن كان مخنا ينتمي إلى عالم الطبيعة، فعقلنا هو الاسم الذي نطلقه على شكل خاص من النشاط الذي يؤديه ذلك المخ. وعالم الإنسان هو ذاك العالم الذي يصنعه عقلنا البشري. ولما كانت «قوانين الطبيعة» المنظمة لعالم الطبيعة تضع قيودًا تحدّ من إمكانات عالم الإنسان، ففي ظل وجود تلك القيود، يغدو عالم الإنسان أي عالم يريده العقل البشري.

2. ويسود عالم اليوم شعور عام بالقلق إزاء حال عالم الإنسان. وتتمثل المفارقة فيما يوحيه التاريخ البشري من أن البشر لم يكونوا يوما غير قلقين إزاء حال عالمهم. ولطالما خالجنا شعور بأن حال البشر بوجه عام ليس على ما يُرام. وما فتئ العقل البشري يحقق كثيرًا من المطامح في جميع العصور، ارتقاءً إلى أعلى أو تدنيًّا إلى أسفل، لكن يبدو أن الارتقاء إنما يأتي دائمًا مصحوبًا بالتدني.

3. من قدرات تبعث على الدهشة. بيد أننا نشكل دائما مصدرًا لإصابة أنفسنا بخيبة الأمل. ولدينا فيما يبدو قدرة لا حدود لها على معرفة الذات وتوجيهها والرقي بها. ويمكننا أن نبدع أشياءَ رائعة، وأخرى لا حدود لروعتها، ويمكننا أن نؤدي أعمالاً جليلة عميقة الأثر. ومع ذلك، يمكننا أن نفعل كل ما يمكن تصوره من أشكال الشر. إننا نبني ونهدم في الوقت نفسه. والبشر بارعون في تهذيب أنفسهم وإيذائها في آن واحد.

4. فالحالة البشرية حصيلة كينونتنا نحن البشر، كما أنها حصيلة ما حققناه وما نحن قادرون على تحقيقه. وعالم الإنسان هو تعبير عما صارت إليه الحالة البشرية في أي مرحلة زمنية معيّنة. والحالة البشرية وعالم الإنسان يشكلان معا عملية متكاملة. ويشارك كل إنسان وكل مجتمع إنساني مشاركةً فريدةً في إعادة صنع الحالة البشرية (ماهية كون الكائن الإنساني كائنًا إنسانيًّا) وفي صنع العالم الإنساني مجددًا (ماهية كون الكائنات الإنسانية معًا في الوقت الراهن). فنحن ما نعتقد.

مهمة الفلسفة

5. الفلسفة هي العقل الذي ينعم التفكير في نفسه. وربما تكون هذه القدرة العقلية الانعكاسية خصيصة يتفرد بها المخ البشري بين الكائنات الحيّة التي لديها أمخاخ. وتعني أن في وسعنا دراسة الحالة البشرية بوصفها انعكاسًا لأداء العقل البشري وظيفته، ويمكننا أن ندرس عالم الإنسان من حيث الحالات العقلية التي أفضت إلى ما هو عليه من حال.

6. وتعني هذ القدرة العقلية الملحوظة قدرتنا على أن نتعلم من تجاربنا، وأن في وسعنا تعديل سلوكنا، أفرادًا كنّا أم مجتمعات، في ضوء ما نتعلمه من تجاربنا. والنوع البشري نوعٌ قصير المدى ذاتي الارتقاء؛ إذ يأتي ارتقاؤه ضمن عمليات ارتقاء العالم الطبيعي طويلة المدى. بل إننا نتكيف مع بيئة أخرى، بيئة نوجدها بأنفسنا.

7. ويُجري عقلنا البشري، ضمن ما يؤديه من أنشطة، دراسة عميقة للعالم الطبيعي باعتباره الأساس الأسمَى للحالة البشرية. ويبدو أن الكشف عن وجود نظام يبدو جِبِلِيًّا يحكم العالم الطبيعي عن طريق العلوم الطبيعية والرياضيات هو تعبير عن واحدة من أسمى قدرات العقل البشري؛ إذ تمكننا من الوقوف على أسباب ما حولنا من آثار مادية، ومن ثَمَّ يكون التنبؤ بالمستقبل المادي. ونحن إذ نتسلح بتلك المعرفة، فلدينا القدرة على استغلال العالم الطبيعي ليتناسب مع أغراضنا المتمثلة في صنع الحالة البشرية والعالم الإنساني.

8. وتمكننا العلوم والهندسة من الاستفادة من الموارد المادية المتوافرة على كوكب الأرض ومن قوى العالم الطبيعي وظواهره، متى وظفنا ما لدينا من ابتكار وإبداع وطاقة لا حدود لها في إحداث تحولات ضخمة في الحالة البشرية وعالم الإنسان. وتسمح لنا القدرة الفلسفية الانعكاسية التي يتمتع بها العقل البشري بأن نراجع علاقتنا بالعالم الطبيعي. وفي الوقت الحاضر، هناك شعور عام بالقلق إزاء استخدام سلطتنا المطلقة على العالم الطبيعي. ونحن على علم بأن موارد كوكب الأرض القابلة للاستغلال تتسم بالمحدودية. كما أن لدينا شعورًا بأن التغيرات في الحالة البشرية والعالم الإنساني الناتجة عن سلطتنا على العالم الطبيعي ليست كلها تغيرات إيجابية، بل إن بعضها بالغ السوء.

الجَبْرِيّة الزائفة

9. نفهم من التاريخ البشري أن البشر كانوا وما زالوا يعتقدون أن مصيرهم ليس في يدهم. وتتخذ طبيعة المصير والوظيفة التي يؤديها أشكالا متباينة لا حدود لتباينها عل اختلاف الأزمان وفي عدد لا يحصى من الثقافات المتمايزة على مدى التاريخ البشري. لكن هناك مفهوم جديد للمصير في عالم البشر المعاصر. إنه شعور بالعجز الذي يعتري البشر في مواجهة ما حققته السلطة البشرية وما سوف تحققه. وللحالة البشرية

في الوقت الراهن بُعدٌ تشاؤمي إزاء مستقبل البشرية؛ فمستقبل البشرية لن يكون ذلك المستقبل الذي ابتغيناه.

10. وهذا الشكل الجديد من الجبرية هو استجابةٌ مفهومة لحقيقة لا مِراء فيها؛ إذ يعجز العقل البشري عن اللحاق بما يؤديه هو نفسه من أعمال. إننا واقعون في قبضة نظم اجتماعية ذاتية الحركة تَخرج إجمالًا عن نطاق السيطرة البشرية. وأكثر الأمثلة وضوحًا هو ما يُسمَى «السوق» الذي يتضمن ما يُسمىَ «القوى السوقية» غير البشرية. أما أكثرها شيوعًا، فهو النظام الدولي، وهو نظام ما يُسمى بالدول التي يخرج مجموع أنشطتها عن سيطرة البشر، والتي تتسبب في طوفان من الآثار العشوائية بشكل أو بآخر، سواء أجيدة كانت أم سيئة أم بالغة السوء. والأمر نفسه ينسحب على الديانات العالمية. كما يصحّ في حق الثقافة الشعبية العالمية التي لا تعدو كونها أثرًا فوضويًّا لمجرد توافر النظم الإلكترونية. أما النظم السياسية الداخلية القائمة في المجتمعات الحديثة شديدة التعقيد، فتتخذ بدورها طابع النظم الذاتية التي تتحول فيها السياسة العامة إلى محصلة عشوائية، بصورة أو بأخرى، للعمليات الاجتماعية بعيدة الغَور.

11. والشيء نفسه يصح في حق العلوم والهندسة، التي تنتشر أنشطتها شديدة الحِذق، انتشارًا عشوائيًا، بصورة أو بأخرى، في جميع أنحاء العالم، وتسبب تغيرات عميقة في الحالة البشرية وعالم الإنسان، وبعضها جيّد على نحو يثير شديد الإعجاب، وبعضها الآخر لا تتوافر فيه تلك الصفة البتّة. وما يسري على العلوم والهندسة يسري كذلك على التعليم. وهو صناعة ضخمة مكتفية ذاتيًّا لا يحكمها تصميم محدد؛ ذلك أن أحدا لا يعرف كيف ينبغي أن تكون الأغراض البشرية والاجتماعية المنظمة له.

12. ولربما أوحت هذه الظواهر لكل مراقب مدقق بأن قدرة العقل البشري على صنع الظروف الإنسانية وعالم الإنسان قد غدت أضعف مما مضى.

مهمة المجتمع

13. المجتمع كتلة مجمعة من الطاقة والأفكار البشرية. ولطالما شكلت تلك الكتلة تحديًّا كبيرًا طوال التاريخ البشري المكتوب. إن صنع المجتمع عملية مستمرة، وهكذا كانت، وعلى هذا ستظل. ويتمثل لب المشكلة في وجوب أن تخضع السلطات التي تتمتع بها الكثرة والمصالح التي في يدها في الأساس للسلطة العامة التي تمارسها القلة باسم المصلحة المشتركة للمجتمع. ولكن مَن، وعلى مَن، ولماذا؟ ذاك هو السؤال الأهم. فمَن يمارس السلطة على مَن، وكيف يمكن تبرير ذلك؟

14. يشكل تنظيم السلطة في مجتمع ما، وما يصحب ذلك من تبريرات، تحديًّا خاصًّا للفلاسفة في جميع الثقافات وعلى مر العصور. ومنذ خمسة وعشرين قرنًا، استقى الفلاسفة في التقاليد الغربية من تجربة الإنسانية ثلاثة أشكال تقليدية واضحة هي: الاستبداد والأوليغاركية (أي حكم القلة) والديمقراطية. وناقشوا كل الأسس الموضوعية المعنوية والعملية لكل منها، إضافةً إلى الصيغ الممكنة لها. ولا تزال تلك المناقشة جارية حتى يومنا هذا. غير أن التحدي إنما يتجاوز بكثير دراسة الفيلسوف. وفي قلب كل مجتمع، يوجد دائما صراع أبدي دائر حول الإجابة عن ذلك السؤال الكبير نفسه. مَن، وعلى مَن، ولماذا؟ إنه المادة الرئيسية في المناقشات السياسية اليومية، وفي أوقات الثورات، بل حتى في أزمان الحروب.

15. والقانون هو تشريح المجتمع وفسيولوجيته؛ فالعقل الجمعي في مجتمع ما هو إلا التدفق المتبادل للوعي بين عقول البشر المشاركة في المجتمع ومخازن الوعي ونظمه فيه - أي التقاليد والمؤسسات والتاريخ والتعليم والسياسة، وما إلى ذلك- التي تعد مهدا لنشأة العمل الاجتماعي. ويحدد القانون المصير الذي يختاره المجتمع لنفسه؛ إذ إنه يحمل المجتمع من ماضيه إلى مستقبله مرورا بحاضره. والقرار الاجتماعي الذي يتخذه العقل الجمعي في الماضي (من خلال سن القوانين) يطبق في الحاضر من أجل جعل مستقبل المجتمع على النحو الذي قصده القانون أو القرار. ولهذا السبب، تُعد سلطات سن القوانين وتطبيقها وإنفاذها من ضمن أهم السلطات العامة في المجتمع بما تتطلبه من بذل جهود استثنائية في التنظيم والتبرير.

16. وفي القرون الثلاثة الأخيرة، زاد حجم الطاقة والأفكار التي يجب على مجتمع كل بلد أن يحشدها زيادة تتجاوز كل الحدود. وقد غمرت بكثرتها النظم الاجتماعية التي ورثناها. حتى تحول النظام الاجتماعي بما يعانيه من تزعزع إلى حالة وبائية، لا سيما على المستوى الدولي؛ حيث إن تزعزع النظام المشترك بين الدول، في ظل قصور نظام القانون الدولي، لا يهدد الازدهار البشري فحسب، بل يهدد بقاء الإنسان نفسه. وتؤدي الأزمة الاجتماعية عميقة الجذور الممتدة على نطاق العالم إلى تغذية الشعور بالجبرية التي ناقشناها في موضع سابق من هذه المقالة.

الذات الآخذة في الذوبان

17. أدت المبالغة في إضفاء الصبغة الاجتماعية على الإنسان على مر القرون الحديثة إلى شكل من أشكال الوعي الذاتي لدى البشر، لكن بقيت فيه لمسة تفرد إنساني. فنحن كائن اجتماعي بحكم إرثنا البيولوجي. ونحن كائن مجتمعي (zoon politikon) لأنه يتعذر علينا البقاء والازدهار وحدنا. وقد صرنا كائنات مصطبغة بالصبغة الاجتماعية لأن المجتمعات التي ننتمي إليها هي التي تحدد كل لحظة من لحظات حياتنا. والضجيج الصادر عن العقول الجمعية في تلك المجتمعات كافة يطغى على صمت عقولنا الفردية. ومن الصعب التفكير وحدنا عندما نكون مضطرين إلى قضاء وقت طويل في التفكير معًا؛ إذ تملا الأيديولوجيا الاجتماعية أذهاننا ونتعامل معها كما لو كانت من بنات أفكارنا نحن.

18. والشعور بالفردية الإنسانية له تاريخه الخاص. فلطالما تكلمت الأديـان والأساطير والفلسفات والآداب والفنون الجميلة عن الفرد الإنساني، ذاهبةً في بعض الأحيان إلى أن الفرد الإنساني أسبق من المجتمع البشري، وذاهبةً في أحيان أخرى إلى أن الفرد الإنساني والمجتمعات البشرية تحتل المرتبة التالية لأشكال النظام الرفيعة المستوى. ومن وقت إلى آخر، تجدد الحركات الفكرية زعمها بأسبقية الفرد الإنساني- لا سيما في القرون الأخيرة، وفي فكرة كرامة الإنسان خالق ذاته في عصر النهضة، وفكرة الحقوق الطبيعية السابقة على المجتمع، ومعاناة الفرد في الأدب الرومانتيكي، التي تُوّجت بصرخة نيتشه من أجل إيجاد نوع جديد من الكائن البشري الذي يتحلى بالمسؤولية الذاتية والاكتفاء الذاتي. ولكن لا تزال هذه الأفكار محصورة في دائرة الترف الفكري لدى أكثر الطبقات الاجتماعية تمتعًا بالمزايا والحُظُوات.

19. والحق أن القانون وبعض الفلسفات الاجتماعية الحديثة تصاغ من زاوية فُرادى البشر، وتبلغ ذروة تلك النظرة في التشريعات المتعلقة بحقوق الإنسان التي تصاغ بعبارات من قبيل: «لكل فرد الحق في...». غير أن استخدام اسم الجنس في الإشارة إلى الشخص يجعله شخصًا مصطنعًا. وتحاكم أحكامنا الأخلاقية شخصًا مكتملًا. أما أحكامنا القانونية، فتحاكم شخصًا وهميًا هو صورة مجردة من الشخص الحقيقي الماثل في

قفص الاتهام أو ضحية إساءة استعمال السلطة العامة. وحقوق الإنسان مسؤوليات عامة ملقاة على عاتق المجتمع فيما يؤديه من وظيفة اجتماعية. أما فيما يخص القانون، فنحن مَن يريد ذلك القانون أن نكون، وأكثر قليلًا.

20. وقد يبدو من المفارقات أن إضفاء الصبغة الاجتماعية المطلقة على البشر يوجَد جنبًا إلى جنب مع هوس حديث النشأة بفكرة الحرية. ولا غرو أن كتلة البشر في المجتمعات الحديثة المتقدمة لم تكن يومًا تنعم بهذه المساحة من بالحرية! إذ تطغى عليها خيارات محددة سواءً بوصف أفرادها مواطنين أم مستهلكين. غير أن حرية الاختيار يتبعها التزام بالانتقاء من بين الخيارات التي حددها المجتمع. بمعنى أننا نريد ما يريد المجتمع لنا أن نريد. والسلطة الجامحة التي تتمتع بها الآلات الإلكترونية تعني أننا صرنا، على ما يبدو، مضطرين إلى التفكير في حدود ما تسمح به تلك النظم التقنية.

21. ويغدو السعي الذاتي مأساوي الطابع إلى الحصول من الآخرين على اعتراف هيغلي، من خلال وسائل التواصل الاجتماعي - مرآة للوعي الذاتي؛ إذ يتولى مهمة تشكيل ذواتنا أشخاصٌ آخرون لا ننتمي إليهم إلا لتحقيق ذلك الغرض. ويصير عقلنا الفردي تابعًا للعقول الجمعية العالمية. وتتحول المعارف التي كانت محفوظة كأنها جواهر نفيسة في عقولنا إلى معلومات مختزنة في أذهان إلكترونية عالمية. وتغذي ذواتُنا الآخذة في الذبان جبريتَنا، وفي ذلك حنين إلى ذات قوية ربما وُجِدت في يوم من الأيام.

وظيفة التعليم

22. لا يوجد شيء اسمه الطبيعة البشرية؛ فالحالة البشرية عمل جار لا ينتهي استنادًا إلى إرثنا البيولوجي الأصلي. ونفسي عمل جار لا ينتهي استنادا إلى إرثي البيولوجي الأصلي. ويستتبع ذلك أن للتعليم غرضين هما: الغرض الاجتماعي والغرض الإنساني، أي الإسهام في صنع الحالة البشرية، والإسهام في صنع البشر أنفسهم. والتعليم عملية مستمرة طيلة الحياة؛ ذلك أننا لا نتوقف أبدا عن تعلم كيف نكون مجتمعا بشريًا ولا يتوقف الواحد منا عن تعلم كيف يكون كائنًا بشريًّا.

23. ويترتب على ذلك أن يكون التعليم المنظم اجتماعيًا من أهم المؤسسات الاجتماعية مجتمعةً. إنه الشيء الذي يصنع المستقبل بمعناه الحرفي، بل شديد الحَرّفية. ولا يمكن لمستقبل المجتمع أن يكون أفضل من صانعه. وتكون ثمرة ذلك أيضا أن يغدو تقديم الخدمة التعليمية مظهرًا إجماليًا من مظاهر السلطة العامة التي يتمتع بها القائمون على تنظيمها. والتعليم ليس نشاطًا مبرّأً من العيب، بل عرضةً دومًا للحكم عليه وانتقاده. ويستغرق التعليم عقودًا من حياة الشخص قد تُستغل على نحو أفضل وتتطلب مبررات لها قوة استثنائية.

24. وهناك ما يدعو إلى الظن بأن التعليم يسهم حاليًّا في إضعاف الفرد الإنساني مقارنةً بسلطة المجتمع الذي يُنظّم فيه. وهذا المجتمع، بوصفه جانبًا من جوانب سياسته، يحدد التوازن بين غرضي التعليم الاجتماعي والإنساني من الناحية السياسية. وبالنظر إلى أن التعليم المنظّم يتحمل تكاليفه إلى حد كبير دافع الضرائب، فهناك عوامل قوية تغري بتفضيل الغرض الاجتماعي على حساب الغرض الإنساني.

25. ومن الصعب على العقل الجمعي فهم القيمة الاجتماعية لأرفع المستويات الممكنة للارتقاء بالعقل الفردي. ويؤدي الانخفاض في جودة العقول الفردية حتمًا إلى تدنٍ في جودة العقل الجمعي، وما يستتبعه من تدنٍ في جودة المجتمع. إن قصور النظام التعليمي يحول دون تحول المجتمع إلى ما يمكن أن يكون؛ مما يدمّر إمكانات ازدهاره بصفته مجتمعًا. وإجراء مناقشة علنية لماهية الإنسان وما يمكن أن يترتب عليها ربما يكون أمرًا غير محتمل. لكن إجراءها أمر ملحّ وضروري، إذا أريد تبرير التنظيم الاجتماعي للتعليم، في قرن يقتضي التوصل إلى مستوى مرتفع ارتفاعًا استثنائيًا من التنمية الذاتية للإنسان.

الإنسانية الواعية لذاتها

26. تتضمن العولمة، تلك الفكرة والظاهرة المثيرة للجدل، في كينونتها إمكانية ساحرة. وفكرة الإنسانية لها تاريخ متميز. وفوق كل ما يفرقنا، يبدو أن هناك دائمًا شيئًا يوحد جميع البشر، لا مجرد أصلهم المشترك ومصيرهم الواحد. وقد أعربت الأساطير والأديان والفلسفات عن أفكارها إزاء العلاقة بين الفرد البشري والجنس البشري برمته، واضعةً في كثير من الأحيان تلك العلاقة تحت نظام يتجاوز كليهما.

27. والسمة الملحوظة التي تشكل مفارقة شديدة في القرن الحادي والعشرين هي أننا نصبح أكثر وعيًا من أي وقت مضى بما يجمع البشر معا. وهي مفارقة لأننا، في الوقت نفسه، نشهد أيضا صوغ خلافاتنا - العرقية والثقافية والسياسية- بطرق مأساوية ومروعة في بعض الأحيان. بيد أن فتح العقول الفردية على كل ما يحدث في كل مكان من خلال وسائل الإعلام الجماهيري- يغير فيما يبدو الوعي الذاتي العام للإنسان، بغض النظر عن السلوك التخريبي المستمر الذي تمارسه العقول الجمعية العالمية.

28. التعاطف الإنساني. تُصدم الناس بالكوارث الطبيعية والبشرية، وتستجيب بسخاء للنداءات الخيرية. القلق الإنساني. يرى الناس على نحو متزايد أن التفاوتات الرهيبة في الظروف المعيشية وفرص الحياة في العالم الإنساني أمور مروعة ومرفوضة. إنها صدى للتنديدات الشرسة لأولى المجتمعات الصناعية في القرن التاسع عشر؛ حيث رأى بعض الناس أن الحرمان الذي تعاني منه الجماهير قتل اجتماعي لهم. المثل الإنسانية. يدرك الناس أن المعايير العالية والأغراض السامية التي نطبقها في مجتمع كل بلد لا حدود لها؛ إذ إنها متخطية للحدود الاجتماعية. المسؤولية الإنسانية. يعلم الناس أن عليهم مسؤولية مشتركة تجاه الحالة البشرية في مجتمع كل منهم. ويشعرون في الوقت الراهن أنهم يشتركون في تحمل المسؤولية عن الحالة البشرية للعالم. نفاد الصبر البشري. لا يستطيع البشر فهم سبب الاستمرار في ارتكاب أخطاء جسيمة في العالم البشري من حيث المبدأ على الرغم من التحسن الكبير في جميع أنواع القدرات البشرية المفيد المغيّرة للعالم.

التنوير الحديث

29. الجبرية الحديثة جبرية زائفة؛ ذلك أن البشر أثبتوا، مرارًا وتكرارًا في الماضي، أننا قادرون على التصدي بفاعلية لسلسلة لا نهاية لها من التحديات البشرية بالغة الشدّة، تلك التحديات التي كثيرًا ما كنا ولا نزال سببًا لها في معظم الأحيان.

30. وثمة خطوات أولى أساسية في الطريق صوب عالم أفضل: (1) تقييم الحالة الراهنة للعالم البشري ببصيرة ممزوجة بالحماس؛ (2) تذكير أنفسنا بالطاقة الإبداعية غير المحدودة للعقل البشري؛ (3) قبول المسؤولية الشخصية من أجل المساعدة في اختيار مستقبل أفضل للبشرية والمساعدة في تحقيق ذلك؛ (4) الابتكار مجددا في مجال التعليم، ولا سيما في العلوم الإنسانية، أي دراسة العالم البشري؛ (5) اعتراف رجال

القانون والفلاسفة بمسؤولياتهم.

31. فلا يمكن أن يكون القانون أفضل من المجتمع الذي يخدمه ذلك القانون. لكن على رجال القانون واجب محاولة جعل القانون في أفضل صورة ممكنة. ولا أهمية لهذا في أي مجال تضارع أهميته في المجتمع الدولي. لقد ورثنا نظامًا قانونيًا دوليًا جرى تسويغه في القرن الثامن عشر بوصفه نظامًا إصلاحيًا تدريجيًا يوازن بين المصالح الذاتية للدول ممثلة في حكوماتها. ويجب أن نعطي القانون الدولي المكانة والمهمة الحقيقيتين كما ينبغي للقانون في مجتمع يضم جميع البشر وجميع المجتمعات البشرية - مجتمعٌ دوليٌ تؤدي فيه المجتمعات البشرية الأخرى، بما في ذلك مجتمعات الدولة، دورها في خدمة المصالح المشتركة للبشرية، أي تحقيق البقاء والازدهار لجميع البشر.

32. وقد شهد القرن العشرين انحسارًا مؤذيًا للذات في الفلسفة التقليدية الغربية، في الوقت الذي وقعت فيه أحداث عامة جعلتها أكثر ضـرورة من أي وقت مضى. إن العولمة المشؤومة للعقل البشري الفردي، التي سبق لنا مناقشتها في موضع سابق من هذه المقالة، يمكن أن يثبت أنها مصدر آخر لأثر منطو على تناقض ظاهري. وفي عالم القرن الحادي والعشرين، ذلك القرن المترابط، يمكن أن تسهم جميع الثقافات الآن في المهمة الملحة المتمثلة في إعادة التفكير في الظروف الإنسانية العالمية، موجهةً النقد مجددًا إلى التقاليد الفكرية القديمة، على حين تنشط في إعادة التفكير في مستقبل الحالة البشرية في بلد كلٍ منها.

33. ولما كان لاستعادة المهمة الاجتماعية السامية للفلسفة أهمية بالغة، فتتجلى في هذه الدراسة فلسفة خاصة ممزوجة بطموح يرى الأمور من منظور عالمي. إنها المثالية الاجتماعية التي تعي أن العقل البشري يصنع الواقع الإنساني فيما يصوغه من أفكار ومُثُل، ويمكن له أن يعيد صناعة الواقع الإنساني بالوسائل نفسها.

34. وقد تكلم بعض المؤلفين، في التقاليد الغربية، عن فترات أساسية حرجة متعاقبة في تاريخ البشرية، يتقدم فيها المجتمع تقدمًا كبيرًا، ثم يتوقف لتقييم ما حققته وللحكم عليه. وإلا، فيمكن القول إن العالم قد مر بست حقب تنويرية على مدى فترات مدتها ثلاثة قرون ابتداءً من القرن الثالث حتى القرن الثامن عشر؛ حيث أجرى فيها العقل البشري تقييمًا لنشاطه وقرر أن يرقى بمستواه. وانطلاق حقبة تنويرية جديدة في القرن الحادي والعشرين أمر حتمي لا مفر منه.

فيليب ألوت، الأستاذ الفخري في القانون الدولي العام بجامعة كامبريدج. من كتابه «المدينة الفاضلة: فلسفة جديدة وقانون جديد لعالم مضطرب» المنشور في تموز/يوليه 2016.

وتود دار توركل أوبسال الأكاديمية للنشر الإلكتروني التابعة لمنتدى القانون الجنائي والإنساني الدولي أن تعبر عن بالغ شكرها للسيد فتحي عبد الرؤوف أحمد على تفضله بترجمته بهذه المقالة من الإنكليزية إلى العربية.

الترقيم الدولي: 978-82-8348-063-4.

عنوان المنشور الثابت على موقع المنتدى:

https://www.fichl.org/pbs/75-allott-arabic/.

عنوان المنشور الثابت على موقع مشروع الأدوات القانونية التابع للمحكمة الجنائية الدولية:

http://www.legal-tools.org/doc/8a92c7/.

TOAEP | Torkel Opsahl Academic EPublisher

Torkel Opsahl Academic EPublisher
E-mail: info@toaep.org
www.toaep.org
All rights reserved by the Torkel Opsahl Academic EPublisher (TOAEP).